

صناعة البيئة التربوية المناسبة



التربيـة عـبارة عن مشاعـر وأفـكار تـجديـدية، إن رـكـدت فـسـدت وـلـم تـعد مـقـبـولة التـرـبيـة هي (بـذـرة وـتـرـبـة)، فالـتـشـبـيـه هـنـا أـنـّ التـرـبـيـة هي بـمـثـاـبة الـبـيـئـة التـرـبـويـة المـصـحـحة التي تـدار دـاخـلـهـا عـمـلـيـة تـرـبـيـة الأـبـنـاء، وـالـبـذـرة هـم الأـبـنـاء بـذـواتـهـم وـشـخـصـيـاتـهـم، فـمـنـ الـمـحـالـ أـنـ تـنبـتـ هـذـه الـبـذـرة وـيـقـوـى عـودـهـا وـتـكـونـ مـاـلـحـة لـلـحـيـاة إـنـ كـانـتـ الـتـرـبـيـة الـتـي وـضـعـتـ فـيـهـا فـاسـدـة، حـتـىـ لوـ أـنـقـنـتـ عـمـلـكـ فيـ زـرـعـهـا وـرـعـاـيـتهاـ، لـأـنـّ الـأـصـلـ فـاسـدـ، وـمـا بـُـنـيـ عـلـىـ خـطـأـ فـهـوـ خـطـأـ.

كـذـلـكـ هـيـ الـبـيـئـة التـرـبـويـة فيـ جـهـةـ وـالـأـبـنـاءـ فيـ جـهـةـ أـخـرىـ، بـيـنـهـمـ تـرـابـطـ وـتـأـثـيرـ عـمـيقـانـ جـدـًـاـ، فـيـصـلـحـ الـبـيـئـةـ الـمـحـيـطـ يـنـصـلـحـ حـالـ الـأـبـنـاءـ، وـفـيـ الـمـقـاـبـلـ فـسـادـ الـبـيـئـةـ الـمـحـيـطـ يـفـسـدـ بـهـاـ حـالـ الـأـبـنـاءـ، فـالـبـيـئـةـ التـرـبـويـةـ تـعـنـيـ: الـجـوـ الـمـحـيـطـ بـالـأـبـنـاءـ مـنـ كـلـ الـجـوـانـبـ، وـالـذـيـ يـنـمـونـ وـيـنـضـجـونـ مـنـ خـالـلـهـ.. فـكـلـ شـخـمـ أـوـ جـهـةـ لـهـاـ اـحـتـكـاكـ مـعـ الـمـتـرـبـيـ تـدـخـلـ ضـمـنـ الـبـيـئـةـ التـرـبـويـةـ لـهـذـاـ الـفـرـدـ، وـلـأـهـمـيـةـ هـذـهـ الـقطـعـةـ، سـأـوـضـنـ لـكـ عـزـيـزـيـ الـمـرـبـيـ مـنـ هـمـ الـأـطـرـافـ الـأـسـاسـيـوـنـ فـيـ تـشـكـلـ الـبـيـئـةـ التـرـبـويـةـ الـمـحـيـطـ بـأـبـنـائـنـاـ بـقـادـمـ الـأـسـطـرـ.

- 1 - الوالدان:

أـوـلـ عـاـمـلـ مـنـ حـيـثـ الـأـهـمـيـةـ وـالتـأـثـيرـ لـصـنـاعـةـ بـيـئـةـ تـرـبـويـةـ مـنـاسـبـةـ لـلـمـتـرـبـيـنـ هوـ (ـالـوـالـدانـ)، لـأـنـّـهـمـ صـاحـبـاـ الـاحـتـكـاكـ الـمـباـشـرـ وـالـبـيـومـيـ معـ أـبـنـائـهـمـ، فـالـعـاطـفـةـ وـالـتـرـابـطـ بـيـنـهـمـ مـوـجـودـةـ بـالـفـطـرـةـ، وـالـمـهـمـ أـيـضاـًـ أـنـ يـكـونـ تـشـكـلـلـ ذـوـاتـ أـبـنـاءـ مـنـ النـاـحـيـةـ الـبـيـولـوـجـيـةـ وـالـنـفـسـيـةـ دـائـمـاـًـ فـيـ الـمـراـحلـ الـأـوـلـىـ مـنـ حـيـاتـهـمـ، وـالـتـيـ يـكـونـونـ فـيـهـاـ عـلـىـ تـوـاـصـلـ حـصـريـ مـعـ وـالـدـيـهـمـ دـوـنـ الـعـوـاـمـلـ الـبـاقـيـةـ الـتـيـ تـؤـثـرـ كـذـلـكـ فـيـ صـنـاعـةـ الـبـيـئـةـ التـرـبـويـةـ، وـلـكـنـ لـيـسـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ مـنـ حـيـاتـهـمـ، وـأـقـصـدـ فـيـهـاـ عـمـرـ الـأـشـهـرـ الـأـوـلـىـ إـلـىـ سـنـ الـسـنـتـيـنـ.

وـحتـىـ تـصـلـ إـلـىـ الـجـوـ الـمـثـالـيـ فـيـ تـطـبـيقـ هـذـاـ الـعـاـمـلـ مـعـ أـبـنـاءـ، يـجـبـ:

أن تكون قدوة صالحة في أقوالك وأفعالك أما مهم.

- ب) أن يكون جزء كبير من وقتك مخصصاً لهم، تعايشهم فيه، تسمع لهم تارة وتكلمهم تارة أخرى.
- ت) أن تراقب تصرفاتهم وتطور سلوكياً بينهم بشكل غير مباشر دون شعورهم بأنهم تحت المراقبة.
- ث) أن توفر لهم جواً من الإيجابية والتفاؤل والأمان وتغدق عليهم بكلمات التحفيز والتشجيع.

ج) توحيد نظام الثواب والعقاب بين الوالدين، بحيث لا يشعر الأبناء بأن أحد الوالدين يخالف الآخر في هذا النظام وهذا يتطلب الجلوس بين الأب والأم لمناقشة هذا النظام والعمل على تطبيقه معاً.

ح) مشاركة الأب والأم في عملية التربية داخل البيت فلقد أثبتت دراسة علمية أن "الأبناء الذين اشتراك في تربيتهم كلّ من الأب والأم تكون نسبة ذكائهم ووعيهم أكبر من الآخرين الذين تربوا على يد أب فقط أو أم فقط!"

تطبيق البنود السابقة سينتج عنه أثر إيجابي في شخصية المتربي، فالوالدية هي الحصن التربوي الأول الذي يتعلم فيه القيم والمهارات والآداب، خصوصاً في السنوات الأولى التي تتشكل فيها عقلية المتربي وطريقة تعامله مع من حوله.

ورحم الله العلاء المعمري، إذ قال في أبياته الشهيرة

مشى الطاوس يوماً باعوجاج *** فقلد شكل مشيته بنوهُ

فقال: علام تختالون؟ قالوا *** بدأت به ونحن مقلدوه

فالخلاف سيرك المعوج واعدل *** فإنك إن عدلت معدله

أما تدرى أبنانا كلّ فرعِ *** يجاري بالخطى من أدّ بوه!

وينشأ ناشئ الفتى مذماً *** على ما كان عوَده أبوه

وما دان الفتى برجحه ولكن *** يعلمه التدينَ أقربوه

-2 : المدرسة

في أكثر من مناسبة، يتم سؤالي هذا السؤال: من له الدور الأكبر في التربية؛ البيت أم المدرسة؟ فيطلب مني الاختيار بينهما بشكل عام، ودائماً كنت أجيب بأنّ الإيجابية بحاجة إلى تفصيل، فليس من الصحة أن أقول (البيت له التأثير الأكبر أو العكس) فالموضوع أكبر من ذلك وسأورده في قادم الأسطر.

المدرسة لها دور عميق جدّاً في التأثير على المتربيين، وهذا التأثير يتضاعد أكثر كلما كبر الأبناء، فمثلاً، في المراحل الأولى من حياتهم يكون تأثير البيت هو الأكبر من المدرسة وبفارق كبير خصوصاً في سنوات (السنة الأولى إلى 6 سنوات) لكن يبدأ بعدها تأثير المدرسة بالتضاعد الكبير بسبب رغبة المتربيين التماضعية في الاستقلال الفكري عن الأسرة، فيبدأ بالرغبة في تلقي المعلومات والاهتمامات من خارج البيت (أي من أشخاص آخرين خلا الأب والأم) ربما كان من صديق أو معلم في المدرسة، فمن هنا تحديداً يبرز دور المدرسة في بلورة صلاح شخصيات المتربيين، فالمدرسة ذات البيئة

الصحية ستلتقي بثمارها عليهم بشكل إيجابي، والعكس كذلك.. المدرسة ذات البيئة الملوثة ستلتقي بثمارها سلبياً على المتربيين.

فمن الخطأ الجسيم من قبل بعض المربين أن يعتبر المدرسة مركزاً أكاديمياً يتحصل منه المربون على القوة والمهارة الأكademie فقط، بل هي مركز تربوي قبل أن يكون مركزاً أكاديمياً، فلذلك تصل إليها المربى إلى البيئة التربوية المناسبة في المدرسة، عليك أن تحرص وباهتمام شديد وبعناية فائقة على اختيار المدرسة التي سينتمي إليها المتربي، وهي ذات صفات ثلاثة:

ذات مراافق تعليمية وترفيهية جاذبة.

قوه الكادر التعليمي من معلمين وإداريين.

لها برامج وتوجه خاص في الشأن التربوي والسلوكي الحميد.

ولن تستطع إيجاد هذه الصفات الثلاث إلا بعد ذها بك للدرس بنفسك واطلاعك عليها وعلى مرافقها الداخلية، وأيضاً جلوسك مع مدیرها وبعض معلميها للحديث والنقاش معهم في أهداف المدرسة وطرق التعليم فيها وعن مستوى الطلبة فيها، ومن باب التأكيد، تستطيع سؤال من حولك (أقربائك - أصدقائك) عن المدارس الجيدة ذات البيئة التربوية المناسبة، فما خاب من استشار.

فإذا بتي عن السؤال: أن "البيت والمدرسة لهما علاقة تكاملاً في التأثير على المتربيين، ففي المراحل الأولى لعمر الإنسان يكون تأثير البيت أكبر ومع تقدم سنها يكبر معه تأثير المدرسة إلى أن يصل في فترة المراهقة إلى أن يكون تأثير المدرسة أكبر بشكل ملحوظ، لذلك يجب عليك الحرص على نوعية المدرسة حتى لا تكون أداء هدم لما تم بناؤه في البيت.

-3 الأصدقاء :

يقول عالم الاجتماع والتاريخ ابن خلدون - رحمه الله - في مقدمته الشهيرة: "الإنسان اجتماعي بطبيعة"، فلا يوجد شيء قد يُعني هذه الطبيعة الاجتماعية إلا الجماعة والمجتمع.. والأصدقاء إحدى مطاهرها.

فعندما يأتي مربى ويحرم من حوله من باب خوفه وحرصه عليه، فإنه بهذا التصرف يحرمه من حاجة فطرية اجتماعية فيه، قد يسبب هذا الحرمان من الخروج والتنزه مشاكل نفسية وسلوكية خطيرة، لذلك ولأهمية الصحبة في تنشئة الفرد تنشئة صالحة أو فاسدة، كان لا بدّ من المربى أن ينتبه لهذه البيئة الصداقية كما ينتبه لبيئة البيت والمدرسة، ويكون هذا الحرص يجعل المتربي يتشارك مع أصدقائه بالخروج للتنزه والاجتماع وال الحوار معهم، مع الحرص على أن يكون هذا السماح مرتبطةً بشروط يهيئها المربى للمتربي من دون شعوره، وهذه الشروط هي:

(١) الاتفاق مع المتربي على ساعات خروج محددة، بحيث لا تكون مفتوحة وغير مقيدة بب يوم أو عدد من ساعات.

(٢) إفساح المجال لخروجه مع أصدقائه لا يعني أن يخرج مع من يشاء، فلابدّ أن يحدد المربى صفات بعينها، ويُتفق مع المتربي على أن تكون موجودة في شخصية الصديق، ويبين له أهمية هذه الصفات، وأنها ستكون سبباً في نجاحه وسعادته.

(٣) في حالة التأكد من أن المتربي يصاحب مجموعة أصدقاء فاسدين أخلاقياً؛ يتدخل المربى بشكل مباشر ويعنده من مصاحبتهم مع تبيان السبب للمتربي وخطورتهم عليه كي يقتنع بهذا المنع.

هذه الشروط يجب أن يعلم بها المتربي ويقتنع بفائتها عليه وفائدة الاقتناع في هذه الجزئية

أزّه سيكون محاسباً لنفسه قبل محاسبة المربي له في حالة مخالفته لها، وقد يسأل البعض ما هي الصفات التي يجب توافرها في الصديق الصالح النافع؟

للإجابة على هذا السؤال المهم أضع لك خمسة شروط ذكرها الدكتور عمر عبدالكا في وهي: "إذا رأك غافلاً ذكرك، وإذا رأك، ذاكراً أعزّك، وإذا رأيته: ذكرتَك بما رأيتك، أن يدلّك على إيه حاله، وأن يزيدك في العلم منطقه".

- 4 - الإعلام:

العامل الأخير الذي يجب أن ينتبه له المربون عند تكوين البيئة المحفزة ل التربية صالح هو "الإعلام" وهذه الكلمة تشمل العديد من الأشياء منها: (التلفاز - الراديو - التوبيتر - اليوتيوب - الفيسبوك.... وغيرها)، وتكمّن خطورة عامل الإعلام وتأثيره الهـام أو البــاء في شخصية المتربي في أزـه وسيلة غير مباشرة تؤثـر بشكل عمـيق جــداً في عقول أبنائـنا عبر رسـائل غير مـباشرـة تبـثـها البرـامـج والمـقـاطـع في العـقـولـ، مما يـنـتجـ عنـه تـأـثـرـهـ الشـدـيدـ بـهـذـهـ الـقيـمةـ الـمـرـسـلـةـ، سـوـاءـ كـانـتـ قـيـمةـ إـيجـابـيـةـ أوـ سـلـبـيـةـ.

فـالـإـلـاعـامـ فـيـ الزـمـنـ الـحـدـيـثـ هـوـ إـلـاعـامـ مـسـتـقـلـ، أـيـ أـزـهـ مـوجـهـ نـحـوـ أـهـدـافـ خـفـيـةـ بـالـنـسـبـةـ لـلـجـمـهـورـ تـهـدـفـ إـلـىـ تـكـوـيـنـ التـكـوـيـنـ الصـحـيـحـ أـوـ السـيرـ بـهـ إـلـىـ الـهـاـوـيـةـ، لـذـلـكـ كـانـ كـانـ مـنـ الـمـهـمـ أـنـ تـتـمـ مـراـقبـةـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ الـإـلـاعـامـيـةـ مـنـ قـبـلـ الـمـرـبـيـنـ بـحـيثـ لـاـ يـكـوـنـ الـقـرـارـ هـوـ حـرـمـانـ الـأـبـنـاءـ مـنـهـاـ لـأـنـ فـيـهـاـ مـاـ هـوـ نـافـعـ، وـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ الـقـرـارـ مـوـافـقـةـ بـالـمـطـلـقـ غـيرـ الـمـقـيـدـ، فـلـاـ إـفـرـاطـ وـلـاـ تـفـرـيطـ، وـالـأـسـلـمـ أـنـ يـتـمـ السـمـاحـ لـهـمـ بـالـأـنـتـفـاعـ مـنـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ وـالـبـرـامـجـ مـعـ وـجـودـ شـيـئـيـنـ هـمـاـ:

الأوّلـ: شـروـطـ تـهـدـفـ الـمـشـارـكـةـ أـوـ مـشـاهـدـهـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ أـوـ الـبـرـامـجـ وـتـجـلـعـهـاـ مـفـيـدـةـ.

الثـانيـ: وـجـودـ الـمـراـقبـةـ الـمـسـتـمـرـةـ غـيرـ الـمـبـاشـرـةـ مـعـ قـبـلـ الـمـرـبـيـنـ عـلـىـ الـمـتـرـبـيـنـ لـأـنـ اـفـتـراضـ حـسـنـ الـنـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـوـاقـفـ غـيرـ صـحـيـحـ.

المصدر: كتاب المُربِّي (كيف نربي في الزمن الحديث؟ 12 قاعدة مبسطة ومبتكرة) للكاتب عبد المحسن العصفور